الفصل الخامس

وماذا . . . . . بعد؟!

رأينا مما سبق كيف هيمنت مظاهر الحياة الغربية المعاصرة على جميع دول العالم ، تحت مسمى العولمة والتبشير بأن الغرب أصبح الجنة الموعودة، وقبلة العالم، تستمد منه البشرية جمعاء رشدها وتقدمها وسعادتها . وللأسف الشديد صدّق الكثير هذا الزعم ، وأصبح أكثر إيمانا بالحضارة الغربية ومبادئها من أهل الغرب أنفسهم . لذلك سيطرت مظاهر الحياة الغربية على جميع جوانب حياتنا اليومية تقليداً لأنماط العيش الغربى،حتى أصبحنا وكأننا أبناء لهذه الحضارة نأكل ونشرب ونلبس ونسكن ونلعب ونفعل تماما كما يفعل أهل الغرب.

لقد سيطرت العلاقات المادية البحتة على المعاملات بين البشر، وساد الكذب، والخداع، والجشع، والطمع، والأنانية، وحب الذات، والنصب، والاحتيال تحت مسميات عديدة،وأخذت القيم الدينية والأخلاقية تنسحب رويدا رويدا من المجتمعات الإنسانية ، إلى حد أن من يتمسك بهذه القيم يشعر بالغربة ويصير منبوذا من قبل المجتمع . باختصار شديد أصبح التقليد الأعمى للغرب رمزا للتقدم وما عداه هو التخلف . وقد عبر أحد الأدباء عن ذلك بقوله: " لو كان هناك سوق للسنين لاشتريت منها ساعات من هذا الزمن الذى مضى وغاب مقابل حاضر أصبحنا فيه غرباء فى أوطاننا ، مصر التى عرفناها ليست مصر التى نعيش فيها الآن . لقد استجدت أمور كثيرة غريبة ما سمعنا بمثلها من قبل :

* أستاذ بكلية الطب حقق أمجاداً علمية ويملك الملايين بالبنوك ..... يمسك منشاراً كهربائيا، ويقطع به جسد رجل نصب عليه، ويلقى بأشلائه فى عدة أماكن .

* جمعية لتبادل الزوجات تجمع بين الرجال والنساء المتزوجين يمارسون الجنس بعضهم مع بعض ويتبادلون زوجاتهم فى ليالى سوداء كالحة .

* مدرس ينهال ضربا على تلميذ عمره 11 سنة حتى يسقط هذا الطفل ميتا ، أين هذا المدرس من أولئك الذين علمونا وغرسوا فينا حب العلم والتفوق ؟!

* فى وسط القاهرة يتحرش قطيع من الشباب بعدد من الفتيات بعد أن شاهدوا فيلمًا بطلته راقصة ، كانت حاضرة للعرض، وبعده أدت وصلة راقصة فى الشارع الأمر الذى أثار الشباب ودفعهم إلى التحرش بأى فتاة أو امرأة إلى حد نزع حجاب المحجبة منهن !

* شاب عمره 17 سنة دخل على والدته فى غرفة نومها فوجدها عارية فى أحضان خاله أى شقيقها ، أمسك الشاب السكين فقتل خاله وهربت أمه بعد إصابتها .

* شاب قتل أم صديقه لأنها اكتشفت علاقة شاذة بين ابنها وصديقه ، فحاولت إنقاذ ابنها فقتلها صديقه .

* مهندس يقتل زوجته وابنه وابنته ويحاول الانتحار لأنه خسر أمواله فى البورصة ، فخاف عليهم من الفقر ففعل بهم ما فعل !!

* منذ بداية التسعينيات من القرن العشرين وحتى الآن 2009م ، وكل فترة وجيزة تسمع عن عمليات نصب تحت زعم توظيف الأموال: الريان ، السعد ، هدى عبدالمنعم ، صاحب شركة الفرسان ، وأخيراً البوشى وشريكه فكرى بدرالدين ،. . . . مئات من النصابين المتتابعين ولا أحد يريد أن يتعظ ، لأن الجميع أعماهم الطمع والجشع عن رؤية الحقيقة .

* قضايا الفساد والرِّشوة ونهب المال العام لا تنتهى منذ بداية الانفتاح الاقتصادى فى منتصف السبعينيات من القرن العشرين وحتى الآن . بداية من التهرب الجمركى حتى تسهيل بيع شركات القطاع العام بأبخس الأسعار . لابد من حصر شامل لكل قضايا الفساد التى تورط فيها وزراء وعاملون فى مكاتبهم .

هذه نماذج قليلة من أشياء كثيرة استجدت على مجتمعاتنا التى كانت مترابطة متماسكة يعيش فيها الجميع جنبا إلى جنب ، لا تستطيع أن تفرق بين مسلم ومسيحى ، فالكل يعرف الشرف وإن كان فقيرا ، ويعرف الرحمة وإن كان قويا ، ويعرف الحلال والحرام وإن كان غنيا . أما الآن فإن كل من يقرأ الحوادث فى الصحف المصرية يشعر أننا نعيش فى غابة كبيرة ، ونسأل من المسئول عن هذه الظواهر الغريبة ؟!

والإجابة تخفى على الكثير منا مع أنها واضحة وضوح الشمس فى كبد السماء إنها الحضارة الغربية الرأسمالية التى قلدناها ومشينا على هداها . وصدق رسول الله ﷺ فى الحديث الذى رواه البخارى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى قال : " لتتبعُن سَنَنَ من كان قبلَكم شبرا بشبر ، وذراعا بذراع ، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ تبعتموهم " قلنا : يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال : " فَمَن "[1] . والحديث يعنى شدة تقليد واتباع وموافقة أهل الإسلام لنمط حياة الآخرين والسير على دربهم وهداهم فى كل الأمور صغيرها وكبيرها .

إن العاقل يتعجب ويصير حيران مما صار إليه أمرنا ، كيف لنا أن نصدق أعداءنا فى كل ما يقولون . إنهم يزعمون أن إسرائيل هى صديقتنا، واليهود أبناء عوماتنا ، وأن عدونا الحقيقى هو الإرهاب المتمثل فى حزب الله، وحماس، والقاعدة، وطالبان، وإيران. وللأسف الشديد اقتنع كثير منا بذلك، وأصبح يردد مثل هذه الخرافات والخزعبلات، وأصبحت كل دولة عربية تخاف من أختها، وترتمى فى أحضان أمريكا وإسرائيل وإنجلترا وفرنسا وألمانيا تحتمى بهم من جيرانها العرب .

ولم يقتصر الأمر على هذا، بل إن داخل الدولة العربية الواحدة أصبح الشيعى يخاف من السنىِّ ، وأهل دار فور يخافون من حكومتهم فى الخرطوم ، والموالاة تخاف من المعارضة فى لبنان ، أهل الجزائر يخاف بعضهم من بعض ويقتل بعضهم بعضا ، والحكام يخافون من المحكومين ، والمحكومون يخافون من الحكام ، والمرأة تخاف من الرجل ، والرجل يخشى المرأة ، وهكذا حدثت الوقيعة الكبرى فى بلاد العرب

---

[1] محمد فؤاد عبد الباقى ، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان البخارى ومسلم ، دار الحديث ، القاهرة، حديث رقم 1708 ص 590 .

والمسلمين بين دولهم من ناحية وبين مواطنى الدولة الواحدة من ناحية ثانية ، وبين أفراد العائلة الواحدة من ناحية ثالثة ، وبين أفراد الأسرة الواحدة وهكذا .... كل هذا حدث بفعل الدس والوقيعة من أجهزة المخابرات الغربية، ووسائل إعلامهم المختلفة التى تختلق الأكاذيب، وتخلق الأزمات وتديرها بكفاءة بالغة .

لقد أصبحنا نعيش فى ظل أهم مبدأ قامت عليه الحضارة الغربية وهو: أن الحياة غابة والصراع فيها لا ينتهى أبداً والبقاء دائماً وأبداً للأقوى .

أى عاقل ذلك الذى يصدق أن إيران الإسلامية عدو؟ وأن إسرائيل المغتصبة للأرض هى الصديق والملاذ ! أى عاقل ذلك الذى يصدق أن الرجل والمرأة فى صراع دائم ، وتؤسس المجالس القومية للمرأة من أجل انتزاع الحقوق للمرأة من الرجل ، أليست المرأة هى الأم نبع الحب والعطاء الدائم بغير حدود ، أليست هى التى حملت الرجل فى بطنها تسعة أشهر كاملة، ثم أرضعته عامين كاملين بلبانها الذي نما منه لحمه وعظامه . أليست المرأة هى الزوجة التى بينها وبين زوجها المودة والرحمة والسكن الهادئ ، أين إذن هو الصراع بين المرأة والرجل؟!

❊❊❊

المبحث الأول

العالم الإسلامي قائدا للعالم

اتسمت العلاقة بين الشرق الإسلامى والغرب بالعداء والصراع المستميت ، منذ انتصار الإسلام على الدولة الرومانية وطردها من الشرق العربى ، ودخول الناس فى دين الله أفواجًا . بلغ العداء والصراع قمته خلال فترة الحروب الصليبية ، هذه الحروب كانت محاولات مستمية لاستعادة الشرق العربى الذى كان فى يوم من الأيام ضمن مناطق السيطرة الرومانية . " وقد دخل الأوربيون إبان مرحلة الاكتشافات الجغرافية وما تلاها من توسع استعمارى فى علاقات سادها الصراع والصدام مع الشعوب الأخرى ، إلا أن صراعهم مع الشعوب الإسلامية كان مختلفاً عن أشكال الصراع الأخرى ، وذلك لأن المسلمين عبر التاريخ ظلوا حاملين مشروعا ذا سمة إنسانية وحضارية يهدف إلى نشر رسالة الإسلام كديانة وحضارة فى مشارق الأرض ومغاربها، وبما أن المسلمين رفعوا رايات مشروعهم العالمى ، فقد جوبهوا بمشروع عالمى آخر على النقيض منه ، وهو مشروع الأوروبيين ، وشتان بين المشروعين .

لم يكن المشروع الأوروبى يهدف لنشر فلسفة دينية أو معتقد روحى ، بل كان توسعاً إمبرياليا واستعماريا ، وإن ارتدى أحيانا رداء الكهنوت . حيث أجبرت الثورة الصناعية القائمة على الفلسفة والمبادئ الرأسمالية الدول الاستعمارية على غزو واحتلال العالم القديم واكتشاف العالم الجديد ، بحثا عن المواد الخام والأيدى العاملة الرخيصة اللازمة للنشاط الصناعى ، وكذلك البحث عن أسواق لتصريف المنتجات الصناعية ، كل ذلك بهدف تعظيم الأرباح؟ وزيادة ثروات الدول الاستعمارية وشعوبها على حساب باقى شعوب الأرض. ولم يقتصر الأمر على هذا الهدف ، بل كان هناك هدف آخر وهو تصدير الأزمات الداخلية والروحية التى عانتها المجتمعات الأوربية فى تلك الفترة (بيع صكوك الغفران ومحاكم التفتيش) .

كان من نتائج ظهور المادية الاستهلاكية والرأسمالية المتوحشة والنزعات القومية الشوفينية على الأرض الأوروبية حربان عالميتان ضَرُوسَان سببتا الخراب والدمار وخلفتا وراءهما ملايين القتلى . وكان من أهم نتائج الحرب العالمية الأولى (**1914**م – **1918**م) نهاية الدور الإسلامى العالمى ، حيث هُزمت الدولة العثمانية، وتم إلغاء الخلافة الإسلامية وإعلان الجمهورية التركية فى **29 / 10 / 1920** م على أساس وطنى و علمانى . وهكذا ، ومنذ القرن السادس عشر ، والهجمة الاستعمارية ما زالت تتكرر على بلاد المسلمين ، وإن تغيرت القبعة فما زال الرأس وما بداخله هو هو ، ومن هنا أَفَلَ نجم المسلمين، وتراجع دورهم ، مع شيوع الفلسفات والأيديولوجيات المعاصرة (كالعلمانية ، الاشتراكية ، الديمقراطية ، الفاشية) وغير ذلك .

طيلة أربعة عقود ، منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية وحتى زوال الاتحاد السوفيتى فى **25** ديسمبر **1991**م ، لم يكن للدول الإسلامية دور فاعل فى الصراع المستعر بين الرأسمالية والشيوعية . وذلك لعدم امتلاك الدول الإسلامية أى قدرة على التأثير فى مجرى الأحداث الدولية ، على الرغم من أن عدد الدول الإسلامية بلغ **59** دولة يقطنها مليارا نسمة من البشر . كما يرجع عدم تأثير الدول الإسلامية أيضا إلى أن العديد منها قد انحازت إلى أحد طرفى الصراع ، إما نكاية فى هذا الطرف، أو تزلفا للطرف الآخر ، وبذلك أصبحت معظم الدول الإسلامية أداة طيعة يستخدمها الأقوياء مجدافا فى بحر السياسة المتلاطم .

بعد أحداث **11** سبتمبر **2001** م وإعلان الولايات المتحدة الأمريكية الحرب على ما يسمى الإرهاب (**ذلك العدو الخفى غير المحـدد**) أصبحت معظم الدول الإسلامية أداة طيعه فى يد الولايات المتحدة تحارب معها الإرهاب المزعوم ، ويقتصر دورها على تنفيذ ما تراه الولايات المتحدة الأمريكية . حيث ترى الولايات المتحدة أن طالبان، والقاعدة، وحزب الله، وحماس، وإيران هى مصدر الإرهاب فى العالم ، ومن أجل القضاء على ذلك تم غزو وتدمير دولتين إسلاميتين هما أفغانستان والعراق . على أن الهدف الحقيقى لذلك الغزو هو السيطرة على منابع البترول فى الشرق الأوسط ،

لضمان تدفقه الدائم كمصدر للطاقة اللازمة لضمان بقاء وازدهار الحضارة الغربية وتفوقها الدائم"[1]

والسؤال الآن : هل سيستمر العالم الإسلامى فى هذا الخنوع والخضوع والتخلف الحضارى؟

والإجابة أن هذا الوضع لن يستمر طويلاً ، وقد بدأت الإرهاصات الأولية التى توحى بأن العالم الإسلامى بدأ فى إدراك أبعاد المهمة الحضارية الملقاة على عاتقة ، والتى يجب عليه القيام بها ، لأنه هو وحده الذى يمتلك المنهج اللازم لانتشال الإنسانية من الهوة السحيقة التى انزلقت فيها نتيجة للمذاهب المادية البحتة التى تسيطر على العالم . وقد استطاع المسلمون فى الماضى القيام بنفس هذه المهمة الحضارية ، عندما نجحوا فى إزالة أكبر إمبراطوريتين عند ظهور الإسلام وهما: الفرس والروم ، ونجح المسلمون فى توصيل دعوه الإسلام إلى كل الشعوب المقهورة تحت احتلال هاتين الامبراطوريتين .

إن الإسلام هو الدين الوحيد على وجه الأرض الذى يمتلك المنهج الفريد الذى يلبى الاحتياجات المادية للجسد البشرى ، ويلبى فى نفس الوقت الاحتياجات المعنوية للروح البشرية فى تناسق وتناغم عجيب وغريب . ويرجع ذلك فى المقام الأول إلى أن هذا المنهج منزل من عند الله -سبحانه وتعالى- وهو الخالق لكل شىء فهو العليم الخبير.

ترى د. إيلين س . هاجوبيان أستاذة علم دراسة أحوال المجتمع البشرى بكلية بوسطن أن المسلمين عبر التاريخ ظلوا حاملين مشروعا ذا سمة إنسانية وعبق تاريخى ذا صبغة كونية عالمية يسعى لنشر رسالة الإسلام كديانة وحضارة فى مشارق الأرض ومغاربها . هذه الشهادة للإسلام ودوره التاريخى يجهلها كثير من المسلمين ، كما يجهلون الدور المنتظر منهم لإصلاح ما أفسدته الحضارة المادية .

---

[1] إيلين س . هاجوبيان ، الحقوق المدنية فى وقت الخطر ، استهداف العرب والمسلمين ، عرض : على سيد أحمد على ، مجلة العربى ، وزارة الإعلام بدولة الكويت ، العدد 603 ، صفر 1430هـ ، فبراير 2009م ، ص 188- 191 .

إننى على يقين كامل بأننا نحن المسلمين سوف نرث هذه الحضارة الضالة بشرط أن نعود إلى دستورنا الذى أنزله الله لنا وهو القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهرة ، وأن نتمسك بهما قولاً وعملاً دون إفراط أو تفريط أى دون تشدد أو تسيب ، لأن سنّة الله -سبحانه وتعالى هى البقاء للأصلح قوى الإيمان الذى يحسن التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب التى جعلها الله وسيلة لبلوغ الغايات والأهداف . وبذلك نكون كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران:110].

هذا اليقين بأن الإسلام سيرث الحضارة الغربية الرأسمالية بعد زوالها لم ينبع من فراغ بل قائم على أدلة دامغة جاءت فى قول الله سبحانه وتعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت:53]، وجاءت من بعض الدول الرأسمالية ذاتها ، نسوق بعضها فيما يلى :

أولاً: فى بريطانيا أصدرت مؤسسة **" الخدمات المالية الدولية "** تقريرا تبين منه أن قطاع البنوك الإسلامية فى بريطانيا صار الآن أضخم من نظيره فى باكستان . وجاء فى هذا التقرير أن المملكة المتحدة بها أكبر عدد من البنوك الإسلامية بالنسبة لدولة غربية،ويرجع ذلك إلى ما يأتي:

1- يوجد فى بريطانيا خمسة بنوك مطبقة بالكامل للشريعة الإسلامية .

2- هناك **17** مؤسسة رائدة لها أفرع متخصصة أو شركات تابعة لها للعملاء المسلمين. مثل بنك **"باركليز"** وبنك **" R.B.S."** ومجموعة **" لويد "** للصيرفة .

3- الأصول المودعة فى البنوك الإسلامية فى بريطانيا تقدر بـ **12** مليار جنيه إسترلينى، وهى بذلك تفوق بكثير الأصول الإسلامية فى دول مثل باكستان وبنجلاديش وتركيا ومصر .

4- هناك 55 كلية ومعهدا متخصصا فى الشئون المالية الإسلامية فى بريطانيا وهو عدد يفوق نظيره فى أى مكان فى العالم .

5- وقد أشار التقرير أيضا إلى أن شركة " **برنسبال إنشورانس** " أصبحت أول شركة مستقلة متوافقة مع الشريعة الإسلامية يصرح لها بتقديم تأمين التكافل للمقيمين فى بريطانيا . وفى مجال الأسواق المالية تم إطلاق أربعة صناديق جديدة للتداول فى البورصة بالإضافة إلى صندوقى أسهم .

6- هناك 18 شركة استشارات قانونية توفر الخدمات المهنية علاوة على الشركات المحاسبية الأربع الكبرى . وقد تم إصدار صكوك بإجمالى تراكمى 18 إصدارا ، تم خلالها جمع 10 مليارات دولار أدرجت فى سوق لندن محتلة بذلك المركز الثانى بعد دبى .

وقد أوضح السيد أندروكان الرئيس التنفيذى لهيئة التجارة والاستثمار ببريطانيا أنه " على الرغم من نشأة التمويل الإسلامى خارج البلاد ، فإنه وجد موطنا طبيعيا فى المملكة المتحدة " **بريطانيا** " ، وعلى الرغم من أنه لا يوجد قطاع بمعزل عن الأزمة المالية العالمية ، فإن التمويل الإسلامى أظهر قدرة كبيرة على التكيف ، ومن المهم أن نواصل العمل مع شركائنا فى التمويل الإسلامى من أجل الاحتفاظ بمركزنا ، باعتبارنا المركز صاحب الصدارة فى العالم الغربى فى تزويد خدمات التمويل الإسلامى" .

وقد ذكر التقرير أن لندن تقوم بتوفير الخدمات المالية الإسلامية منذ 30 عاما، وإن كانت هذه الخدمة لم تلق اهتماما أكبر إلا فى السنوات الأخيرة . ومن أهم ملامح تطور لندن والمملكة المتحدة ، باعتبارها المركز الغربى الرئيسى للتمويل الإسلامى ، هو السياسات الحكومية المشجعة التى تهدف إلى توسيع سوق المنتجات الإسلامية لكل من المؤسسات المتوافقة مع الشريعة الاسلامية والمؤسسات التى تدير " **منافذ إسلامية** " . حيث تم وضع إطار مالى وتنظيمى فى المملكة المتحدة للتمويل الإسلامى منذ عام 2003م ، وكذلك إلغاء الازدواج الضريبى على الرهون العقارية الإسلامية للشركات والأفراد ، وإصلاح الترتيبات لإصدارات السندات بحيث يمكن معاملة

العوائد ومدفوعات الدخل باعتبارها **" كما لو كانت "** فائدة ، وهذا يجعل لندن مكانا أكثر جاذبية لإصدار الصكوك الإسلامية والتعامل فيها . هذا بالإضافة إلى المبادرات التى قامت بها هيئة الخدمات المالية البريطانية من أجل ضمان اتساق المعاملة التنظيمية للتمويل الإسلامى مع مبادئها وأهدافها القانونية . وتعتزم الحكومة البريطانية سن تشريع جديد فى العام الجارى **2009** م بغرض الإعفاء من ضريبة الدمغة العقارية على سندات التمويل الإسلامية الاستثمارية .

ثانيا : اتخذت فرنسا عدة خطوات عملية فيما يتعلق بالصناعة المالية الفرنسية أهمها:
الجانب القانونى ، وذلك لأن المعاملات المالية إسلامية كانت أو غير إسلامية ، تقوم على العقود التى توثق الحقوق والالتزامات ، كما أن ضوابط العقود وشروطها وتوازنها وفسخها وبطلانها تحكمها القواعد القانونية ، وهذا مجال لابد من تغطيته .

ولا شك أن البدء بالجانب القانونى يؤكد جدية توجه السلطات الفرنسية فى التعامل مع الصناعة المالية الإسلامية . وذلك لأن تقنين الجوانب القانونية يجنب التجربة التراجع والفشل ، كما أن دراسة المنتجات المالية الإسلامية دراسة قانونية معمقة، والحرص على تكييفها التكييف السليم من شأنه أن ينير الطريق للوقوف على مسائل مالية أساسية لعل أهمها الجانب الضريبى . على سبيل المثال فإن التحليل القانونى **"للمرابحة"** على أنها شراء عين من قبل المأمور بالشراء (**المصرف**) لبيع نفس العين لعميل البنك (**الآمر بالشراء**) له انعكاس ضريبى فى البلدان التى يقوم دخل الدولة فيها أساسا على الضرائب ومنها فرنسا . مثل هذه المسائل لابد وأن تكون معلومة لجهات الإشراف والمتعاملين مع المؤسسات المالية الإسلامية حتى يكون كل طرف على بينة من أمره .

وبالإضافة إلى ذلك هناك إجراءات تحت الدراسة مزمع تفعيلها العام الجارى **2009**م، منها مراجعة القانون الفرنسى الحالى المنظم للإجارة المنتهية بالتمليك – يطلق عليها القانون الفرنسى **" القرض الإيجارى "** وذلك بتوسيع مجالاتها التى تقتصر فى القانون الحالى على التمويل المهنى (تمويل المعدات الطبية ، وتمويل الصناعيين والتجار والمقاولين) لتشمل تمويل الأفراد من أجل اقتناء مقر للسكن ، وهذه من

الأمور الهامة التى توليها فرنسا اهتماما كبيراً للمحافظة على التوازن الاجتماعى وتوسيع دائرة الملكية الفردية خصوصا فى مجال السكن .

وهناك دراسة أخرى تتناول العقبات المترتبة على تبنى التأمين التكافلى، وإعادة التأمين التكافلى فى فرنسا ، وكذلك التفكير فى القانون الواجب التطبيق فى عقود الصناعة المالية الإسلامية ، والاعتراف فى فرنسا بأحكام جهات التحكيم الأجنبية التى لها علاقة بمسائل تخص الصناعة المالية الإسلامية . مثل هذا التوجه سوف يجعل أحكام المحكمين الصادرة خارج فرنسا قابلة للتنفيذ فى فرنسا بسهولة ويسر .

ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد ، بل تعداه إلى دعم الجانب الإعلامى لبرامجهم حول إدخال الصناعة المالية الإسلامية ، من أجل وضع حد للجهل المتبادل ، **"جهل فرنسا للصناعة المالية الإسلامية وجهل الصناعة المالية الإسلامية لفرنسا"**. ومن المتوقع بعد بدء المؤسسات المالية الإسلامية نشاطها فى فرنسا أن نشهد نقاشا قانونيا وفقهيا ثريا ، لأن القضاء الفرنسى له تجربة مع فقة المعاملات المالية الإسلامية مثل بيع الديون ، والسداد المبكر ، وآثار فسخ عقد الإجازة المنتهية بالتمليك، مع اختلاف الشروط والضوابط التى قد تكون طفيفة ولكنها فاصلة .

ويرجع السبب الرئيسى فى التوجه الفرنسى نحو الصناعة المالية الإسلامية إلى الرغبة فى تقليص الهوة التى فصلت فرنسا عن بعض الدول الأوروبية التى تبنت الصناعة المالية الإسلامية فى وقت مبكر مثل بريطانيا من ناحية ، وتحقيق السبق بالنسبة للمترددين فى تبنى الصناعة المالية الإسلامية من جهة أخرى .

ثالثا : تسعى تايلاند للدخول فى سوق المصرفية الإسلامية ومحاولة احتذاب رءوس الأموال من الدول الإسلامية الغنية فى الشرق الأوسط والدول المجاورة لها (**ماليزيا وأندونيسيا**) ، وذلك من خلال الشركات المتوافقة مع الشريعة الإسلامية. وتحاول سوق تايلاند للأوراق المالية اجتذاب الأموال المسلمة من خلال مؤشر تايلاند المتوافق مع الشريعة الإسلامية المزمع إطلاقه خلال شهر أبريل **2009**م . وهذا المؤشر عبارة عن مجموعة مختارة من الشركات التى تم إخضاعها للفحص الدقيق من قبل علماء الشريعة الإسلامية للتأكد من خلو نشاطها من أى

مخالفة لمبادئ الشريعة الإسلامية الغراء مثل: لحم الخنزير والتبغ والخمور أو حتى صناعة الدفاع . والتأكد أيضا من عدم تعامل هذه الشركات بالفائدة المحرمة التى هى "الربا" المحرم فى الشريعة الإسلامية .

لقد أثبت فحص الشركات المسجلة فى بورصة تايلاند عن طريق مجموعة من المستشارين الشرعيين موجودين فى دبى ، أن قرابة نصف الشركات المدرجة والبالغ عددها **132** شركة تتفق مع أحكام الشريعة الإسلامية . ومن ثم لم تكن بورصة تايلاند تحتاج إلى وضع هذه الشركات فى مؤشر خاص متوافق مع الشريعة الإسلامية.

بالإضافة إلى ذلك ، فإن الحكومة التايلاندية تقوم بدراسة فكرة تمويل خطوط النقل ومشروعات رأسمالية تنفذها الخطوط الجويه التايلاندية من خلال التمويل الإسلامى . وذلك لأن الأزمة المالية العالمية أدت إلى إغلاق الأسواق المالية التقليدية، فى حين أن الأسواق المالية الإسلامية ما زالت مفتوحة سواء فى الشرق الأوسط أو فى ماليزيا أو فى بريطانيا ، وعلى تايلاند الاستفادة من هذه المصادر فى تمويل تنمية اقتصادها .

تعكف وزارة المالية التايلاندية حاليا على تصميم أدوات التمويل الإسلامى من أجل الالتزام بأحكام الشريعة الإسلامية من حيث تحريمها لدفع الفائدة أو تقاضيها ، وبدلا من ذلك يتم تصميم السندات الإسلامية المعروفة باسم " **الـصكوك**" لدفع معدلات أرباح المستثمرين المسلمين .

ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد ، بل إن وزارة المالية التايلانية تقوم بمراجعة القوانين الضريبية من أجل استبعاد العقبات التى فى طريق تطوير السندات الإسلامية "**الصكوك** " ، ومن المتوقع الانتهاء من ذلك خلال شهر أبريل **2009**م . وذلك لأن الصكوك عادة ما تستخدم أصول المشروعات والعوائد المستقبلية كضمان مقابل الالتزام الأصلى ، وبموجب القانون التايلاندى مثل هذه التحويلات قد تترتب عليها أعباء ضريبية .

رابعاً :حذر البابا شنودة، بابا الإسكندرية، وبطريرك الكرازة المرقصية ، جميع الأقباط من أكل لحم الخنزير ، لأن تناوله يؤدى إلى إصابة الإنسان بالعديد من الأمراض . وأضاف أن خطورة أكل لحم الخنزير ترجع إلى أنه يحتاج إلى دقة متناهية فى طهيه ،

بالإضافة إلى ضرورة توقيع الكشف الطبى الجيد على هذا اللحم بعد ذبحه ، وذلك لأن الخنزير من الحيوانات التى تتناول القاذورات والمخلفات غير النظيفة ، مما يتسبب فى نقل العديد من الأمراض .[1]

خامساً : اعتبرت الكنيسة الإنجليكانية " كنيسة كانتربرى أن تبنى بعض أوجه الشريعة الإسلامية فى بريطانيا " **أمر لا مفر منه** " . وقال كبير أساقفة كنيسة كانتربرى الدكتور "**روان وليامز**" : إن تطبيق بعض جوانب الشريعة فى بريطانيا أمر لا يمكن تجنبه ، ودعا إلى التعامل بذهن منفتح مع المسألة ، لافتا إلى إمكان التوصل إلى " تسوية بناءة مع الشريعة حول عدد من القضايا مثل الطلاق . وفى حديثه لهيئة الإذاعة البريطانية " B.B.C " رد على سؤال عما إذا كان تطبيق الشريعة الإسلامية ضروريًّا لتماسك المجتمع ، قال وليامز: " **إنه أمر لا يمكن تجنبه على ما يبدو** " ، وأضاف " **هناك اعتراف بالفعل فى مجتمعنا ببعض أحكام الشريعة وبموجب قوانيننا، ومن ثم فإن الأمر ليس كما لو كنا نأتى بنظام غريب ومنافس**". وجدد وليامز دعوته للمسئولين المسيحيين والمسلمين إلى التعاون، وشدد على ضروة إشراك كل الطوائف فى هذا العمل، داعيا للنظر إلى الشريعة الإسلامية " بذهن منفتح" .[2]

وحتى يمكن للعالم الإسلامى أن يؤدى رسالته ويتبوأ مكان الصدارة فى هذا العالم ويرث الحضارة الغربية الآفلة شمسها لا محالة ، لابد وأن يمتلك كل الوسائل والمقومات المادية والمعنوية ليكون طوق النجاة للإنسانية جمعاء ، يأخذ بيدها إلى بر الأمان والإيمان . وتتمثل تلك المقومات فيما يلى :

1- العالم الإسلامى يؤدى رسالته من خلال الاهتمام بالإنسان جسداً وروحاً، لأن الإنسان كلّ متكامل ، ولا يجوز الاهتمام بالجسد دون الروح ولا بالروح دون الجسد، لقد نجحت الحضارة الرأسمالية فى إشباع الحاجات المادية ، وأهملت تماما

---

(1) المصرى اليوم ، العدد 1146 ، 3 أغسطس 2007م .
http:// www.almasry-alyoum.com/article2.aspx?article ID = 70963& Issue ID = 755

(2)http://mewsvate.bbc.uk/mpappas/pagetools/print/news.bbc.com/uk/hi/arbic/world news / newsid 7236000/7236247.stm

الجوانب الروحية ، لذلك على العالم الإسلامى الاهتمام بالجانب الروحى للإنسان فى إيمانه ورجائه لثواب الله فى كل ما يقوم به من أعمال .

لقد ظل العالم الإسلامى زمنا طويلا وهو مستخفّ بقوة الإنسان المعنوية المترتبة على الإيمان، وعندما خاض المعارك التى تحتاج إلى الإيمان والصبر والثبات وتحمل الشدائد والنكبات لجأ إلى القوة المعنوية الكامنة فى نفوس المسلمين لم يجد شيئا مذكورا، هنالك عرف أنه قد جنى على نفسه جناية عظيمة بإهمال القوة الروحية وتضييعها . وعندما عاد بعض المسلمين إلى الإيمان القوى استطاع تحقيق بعض الانتصارات، وتقليم أظفار الدول الاستعمارية، وعلى رأسها الولايات المتحدة وإسرائيل ، على سبيل المثال ، المقاومة فى العراق وأفغانستان ، وجنوب لبنان عام **2006**م ، وغزة عام **2008/ 2009** م .

2- المهمة الأولى لقادة العالم الإسلامى وجمعياته وهيئاته الدينية والمدنية هى غرس الإيمان فى قلوب المسلمين وتذكيرهم الدائم بأن هذه الدنيا زائلة لا محالة ، وأن هناك يومًا للحساب والعقاب ، وأن نعيم الدنيا ومتاعها مهما عظم فإنه زائل، وأنه ضئيل جدا مقارنة بنعيم ومتاع الجنّه الدائم المقيم .

3- العالم الإسلامى مطالب بأن يعمل على وضع قواعد نهضة علمية شاملة ، قوامها احترام العلماء وتقديرهم وإعطاؤهم المكانة اللائقة بهم ، ورفع شأنهم ماديا ومعنويا. وذلك لأن العلماء فى العالم الإسلامى الآن فى مرتبة متأخرة جداً يسبقهم أهل الفن واللعب والطرب وغير ذلك من الفئات التى تحتل مكانه بارزة فى المجتمع، ولا تسهم فى تقدمه وتطوره .

4- يمتلك العالم الإسلامى ثروة ضخمة من العلماء والعقول المهاجرة تلك التى نجحت الدول الغربية الرأسمالية فى جذبهم ، وتوفير البيئة الملائمة لقيامهم بالبحث والتطوير فضلا عن رعايتهم ماديا ومعنويا . هذه الثروة الضخمة من العقول العلمية فى الخارج والداخل هى التى ستكون نواة نهضة العالم الإسلامى وتقدمه ، والقاطرة التى تجره إلى الأمام على الدوام . وبذلك يستغنى العالم الإسلامى عن

الخبراء والمستشارين الذين يأتى بهم من الدول الرأسمالية فيكونون سببا فى تعميق واستمرار تخلف العالم الإسلامى.

5- الإنسان هو وسيلة التقدم وهدفه ، لذلك يجب الاهتمام بجميع جوانب الحياة الإنسانية الصحية والثقافية والتعليمية والاجتماعية والاقتصادية ، ومراقبة التحسن الذى يطرأ على جميع هذه النواحى . والتطوير المستمر والدائم للوسائل التى يمكن من خلالها تطوير الحياة الإنسانية بجوانبها المختلفة .

6- الأولوية الأولى للعالم الإسلامى أن يوضع كل إنسان فى مكانه الصحيح ، وأن يقدم أهل العلم والخبرة على ما عداهم . وذلك لأن تقديم أهل الثقة على العلماء والخبراء هى السبب الأول فى تأخر العالم الإسلامى وتبديد موارده، وتوجيه الجهود إلى الوجه الخطأ ومن ثم يعاد إقامة المشروع الواحد مرات ومرات .والأمثلة كثيرة فى العالم الإسلامى تلك التى تبين كيف أن المحيطين بولاة الأمر كانوا السبب الرئيسى فى تخريب البلاد وتبديد الثروات وتقديم غير المهم على الأهم .

7- يمتلك العالم الإسلامى موارد ضخمة لا يحسن استغلالها ، الأمر الذى يجعله عالة على الدول المتقدمة فى سد احتياجاته من السلع المختلفة زراعية كانت أم صناعية . كما أن العالم الإسلامى يعتمد - فى التسليح - على الأسلحة والمعدات المستوردة من غيره . فهل يستقيم الأمر للعالم الإسلامى، وهو على هذه الحالة من الاعتماد على غيره فى كل شئون حياته ؟!

8- من العجيب حقا أن يظل العالم الإسلامى يعتمد فى القيادة العلمية والتوجيه على الغرب ومتطفلا على مائدته حتى فى اللغة العربية وآدابها وعلومها ، بل حتى فى علوم الدين كالتفسير والحديث . وبذلك أصبح المستشرقون هم المرشدين الموجهين فى البحث والتحقيق، والدراسة والتأليف ، وهم الأسوة فى النقض والإبرام . ومن المعروف أن عدداً كبيراً من هؤلاء المستشرقين قساوسة ويهود متعصبون جداً ويضمرون للإسلام ورسوله العداء والبغضاء ، فهم يخونون فى النصوص، ويحرفون الكلم عن مواضعه ، كما أن منهم من لا يتقن اللغة العربية فهو يخطئ فى النصوص وترجمتها أخطاء فاحشة .

لابد للعالم الإسلامى إذا أراد أن يتقدم، ويقوم على قدميه، ويفكر بعقله أن يقاوم هذا الخضوع ، ويكون فيه علماء وكتاب جهابذة يتناولون الحضارة الغربية بالدراسة العمقية والنقد ويتبحرون فى العلوم الإسلامية ، حتى يمكن للمستشرقين فى أوربا وأمريكا الاستفادة منهم ويصححوا بهم أخطاءهم ، ويتوجه طلاب العلم والدراسات العليا إلى عواصم العالم الإسلامى بدلا من التوجه إلى عواصم الدول الأوروبية والأمريكية . فعواصم الدول الإسلامية أولى أن تكون قبلة الدارسين للثقافة الإسلامية والعلوم الدينية وآداب اللغة العربية .

وهكذا يستطيع العالم الإسلامى – بالمقومات السابقة – أن يعظم استغلال ثرواته الطبيعية والبشرية ويضع النظم المالية والاقتصادية والاجتماعية التى تمكنه من إدارة شئونه على أكمل وجه . وبذلك يظهر فضل تعاليم الإسلام ونظامه فى إدارة شئون الحكم ، وعلاج وحل جميع المشكلات التى عجزت الحضارة الغربية الرأسمالية فى أن تضع لها الحلول المناسبة . وبذلك تنتقل دفة قيادة العالم من الغرب المادى الأنانى الذى لم يعد يرغب فى أو يقدر على إسعاد البشرية ، إلى العالم الإسلامى الذى يحمل روحا جديدة، وعزمًا جديدا، ويعتبر نفسه مسئولا عن ذلك أمام الله ، مكلفا به منه – سبحانه وتعالى – ذلك هو المسلم الذى ينتظره العالم من جديد "[1] وعلى كل مسلم أن يتدبر جيدًا قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ ﴾ [المائدة: ١٤ – ١٥].

❊❊❊

[1] أبو الحسن الندوى ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، دار القلم للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة السابعة عشرة ، 1428هـ / 2007 م .

المبحث الثاني

قيادة العالم العربي للعالم الإسلامي

وإذا كان العالم يحتاج إلى قيادة العالم الإسلامى له ، فإن العالم الإسلامى يحتاج فى القيادة إلى العالم العربى ، ذلك لأن العالم العربى بمواهبه، وخصائصه، وحسن موقعه الجغرافى، وغزارة موارده، وأهميته السياسية يحسن القيام برسالة الإسلام ، ويستطيع أن يتقلد زعامة العالم الإسلامى، ويزاحم أوروبا بعد الاستعداد الكامل لذلك ، وينتصر عليها بإيمانه وقوة رسالته، ونصر الله – سبحانه وتعالى – ويحول العالم من الشر والاستغلال إلى الخير والوئام ، ومن النار والدمار إلى الهدوء والسلام .

لقد استطاع العرب فى الماضى حمل رسالة الإسلام ونشرها فى ربوع الأرض ، فقد خرجوا بها من ضيق الجزيرة العربية أو من ضيق التناحر على سيادتها ، ومن ضيق التكالب على حِطامها القليل وملكها الضئيل وعيشها الذليل ، إلى عالم جديد من السيادة الروحية والخلقية والعلمية والسياسية . لقد وصل العرب برسالة الإسلام إلى أصقاع الدنيا من الهند والصين شرقا إلى جنوب أوروبا وغربها وإدخال إفريقيا لتصبح الدولة الإسلامية أعظم إمبراطورية فى التاريخ البشرى ، قوامها الإيمان والعدل والمساواة بينهم وبين الشعوب التى فتحوها وعاشوا معها جنبا إلى جنب لافرق بين عربى ولا عجمى إلا بالتقوى . وظلت هذه الإمبراطورية مدة طويلة من الزمن والناس لا يفكرون فى الثورة عليها والتخلص منها كما هى عادة المفتوحين والأمم المغلوبة. وذلك لأن صلة العرب الفاتحين بشعوب المناطق المفتوحة قامت على الأخوة الإنسانية بعد أن دخل هؤلاء فى دين الله أفواجا ، حتى الذين لم يدخلوا فى الإسلام لم يتعرضوا للاضطهاد بل عاشوا مكرمين فى ظل عدل الإسلام .

هذه هى القيادة العالمية التى هيأتها البعثة المحمدية ، وأعلنتها «سورة الإسراء»، وهى القيادة التى يجب أن يحرص عليها العرب أشد الحرص ، ويعضوا عليها بالنواجذ، ويسعوا إليها بكل ما أوتوا من مواهب؛ ويتواصى بها الآباء والأبناء ، ولا يجوز لهم – فى شريعة العقل والدين – أن يتخلوا عنها فى زمن من الأزمان ، ففيها عوض عن كل قيادة مع زيادة، وليس فى غيرها عوض عنها وكفاية ، وهى القيادة التى تشمل جميع أنواع القيادة والسيادة ، وهى تسيطر على القلوب والأرواح ، أكثر من سيطرتها على الأجسام .

إن الطريق إلى هذه القيادة ممهدة ميسورة للعرب ، وهى الطريق التى جربوها فى عهدهم الأول **" الإخلاص للدعوة الإسلامية واحتضانها وتبنيها والتفانى فى سبيلها وتفضيل منهج الحياة الإسلامى على جميع مناهج الحياة "** .

وبذلك – من غير قصد وإرادة لنيل هذه القيادة وتبوئها – تخضع لهم الأمم الإسلامية فى أنحاء العالم ، وتتهافت على حبهم وإجلالهم وتقليدهم ، وبذلك تنفتح لهم أبواب جديدة وميادين جديدة فى مشارق الأرض ومغاربها ، الميادين التى استعصت على غزاة الغرب ومستعمريه وثارت عليه ، وتدخل أمم جديدة فى الإسلام، أمم فتية فى مواهبها وقواها وذخائرها ، أمم تستطيع أن تعارض أوربا فى مدنيتها وعلومها إذا وجدت إيماناً جديداً ، ودينا جديداً ، وروحاً جديداً ورسالة جديدة .

إلى متى أيها العرب تصرفون قواكم الجبارة التى فتحتم بها العالم القديم فى ميادين ضيقة محدودة ؟ وإلى متى ينحسر هذا السيل العرم – الذى جرف بالأمس المدنيات والحكومات – فى حدود هذا الوادى الضيق . تصطرع أمواجه ويلتهم بعضها بعضاً ؟ إليكم هذا العالم الإنسانى الفسيح الذى اختاركم الله لقيادته واجتباكم لهدايته ، وكانت البعثة المحمدية فاتحة هذا العهد الجديد فى تاريخ أمتكم وفى تاريخ العالم جميعاً ، وفى مصيركم ومصير العالم جميعاً فاحتضنوا هذه الدعوة الإسلامية من جديد وتفانوا فى سبيلها وجاهدوا فيها ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ

عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [الحج:78].

بالإضافة إلى امتلاك العرب للعقيدة الصافية السليمة ، فإنهم يمتلكون مقومات مادية ضخمة للغاية ، القليل منها هو المستغَل ، والغالبية العظمى من هذه الموارد غير مستغل وينتظر العلم والمال والجهد البشرى لاستغلاله . فالأراضى الشاسعة فى السودان تنتظر رأس المال العربى لاستغلالها لتكون سلة الغذاء للوطن العربى كله، وربما كان هناك فائض للتصدير. القوة البشرية المصرية الشابة تنتظر حسن الإدارة والتوجيه السليم . طاقة شمسية ضخمة تنتظر التقدم العلمى والتقنى لاستغلال أشعة الشمس الساقطة على الأراضى العربية طوال العام لتحويلها إلى طاقة كهربائية يمكن تصديرها إلى أوروبا بمليارات الدولارات سنويا .

ثروة ضخمة من الأموال العربية المودعة فى بنوك الدول الغربية بعضها تم إيداعه بدون فوائد ، اختلف الخبراء فى تقدير حجمها ، حيث يرى خبراء البنك الدولى أن حجم رءوس الأموال العربية المودعة فى الخارج ارتفع من **350** مليار دولار عام **1993**م إلى **830** مليار دولار عام **2005**م ، هذا المبلغ الضخم تم إيداعه فى بنوك الدول الغربية بحجة الأمان التام الذى يتمتع به الاستثمار فى هذه البلدان ، فلا مصادرة ولا تأميم . لكن الحقيقة غير ذلك تماما حيث تعرضت أموال بعض الدول للتجميد ، كما حدث لليبيا بسبب أزمة لوكيربى ، والعراق وإيران وسوريا وكوريا الشمالية تحت حجج واهية وأسباب مختلفة من جانب الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها الغربيين.

إن الدول الغربية الرأسمالية تحاول دائما زرع الشك، وترويج الأكاذيب حول عدم الأمان الذى تتعرض له الاستثمارات فى الدول العربية ، لذلك تلجأ الدول العربية البترولية لاستثمار أموالها فى الدول الغربية ، تاركة الدول العربية الفقيرة تتسول

الاستثمارات الأجنبية من الدول الغربية . إنه لأمر عجيب حقا أن تستثمر الأموال العربية فى الغرب بعائد ضئيل ، ثم يعاد إقراض هذه الأموال مرة أخرى للدول العربية الفقيرة مقابل فوائد مرتفعة تحصل عليها الدول الغربية ، وهكذا يزرعون الشك والخوف بيننا لنظل فى حاجة إليهم ، يضع الغنى منا أمواله هناك ، ثم يقترض الفقير منا منهم جزءًا قليلًا من هذه الأموال بثمن باهظ ، لتظل الأوطان العربية تعانى دائما من نُدرة رءوس الأموال اللازمة للتنمية الاقتصادية .

بالإضافة إلى ما سبق، فإن العالم العربي في حاجة ماسة إلى أن يتولى المناصب المختلفة أهل الخبرة العلمية والعملية، وذلك هو الشرط اللازم والضروري لتحقيق التقدم الاقتصادي والاجتماعي والسياسي. إن تقديم أهل الثقة عديمي – الخبرة والعلم- على العلماء والخبراء- أهل الخبرة- هو أحد الأسباب الجوهرية لتخلف العالم العربي والعالم الإسلامي.

❊❊❊

المبحث الثالث

مصر قائدة للعالم العربي

شاءت إرادة الله -سبحانه وتعالى- أن تكون مصر مهد التوحيد والحضارة فى الأرض . لقد قامت الحضارة المصرية القديمة على أساس التوحيد والعلم ، حيث أقام المصريون المعابد والأهرامات والمقابر لإيمانهم بالبعث والحساب بعد الموت ، وقد وجدت رسومات على جدران المعابد تبين أن أعمال الميت توزن بالميزان فإما ثواب أو عقاب .

عند ظهور المسيحية دخل المصريون فيها واتبعوا مذهبا يخالف مذهب الرومان ، ولهذا السبب تعرض المصريون إلى الاضطهاد من قبل الرومان ، الأمر الذى جعل الرهبان يفرون إلى الصحراء حيث أقاموا الأديرة بها ، وظلوا كذلك حتى جاء الإسلام فأعطاهم الأمان وضَمَنَ لهم حرية العبادة والاعتقاد ، فعاشوا مكرمين حتى يومنا هذا.

وبدخول الإسلام مصر اعتنقه المصريون لسماحته وعدالته وبساطة عباداته ، وأصبحت مصر منارة العالم الإسلامى وملجأ طلاب العلم من جميع أنحاء العالم ، يتعلمون فيها وسطية الاسلام وعدله وسماحته ، ثم يعودون إلى بلادهم ليكونوا دعاة للخير .

كل ذلك يدل على أن المصرى متدين بطبعه ، وأن الدين يحتل فى نفسه المرتبة الأولى متقدما على كل الاعتبارات الأخرى . وإذا حاد قليلا عن طريق الحق والجادة سرعان ما يعود أدراجه إلى التدين مرة أخرى ، إذا ما تم تذكيره ووعظه . وبالإضافة إلى تدين المصرى، فإنه يتميز بالمسارعة فى فعل الخيرات والمجاملة وكرم الضيافة والشهامة

والمثابرة وإغاثة اللهفان ، بالإضافة إلى ما سبق ذكره أن الشعب المصرى يميل إلى التدين والتمسك بالأخلاق بفطرته .

وتتمتع مصر بالعديد من المقومات التى تجعل منها دولة جديرة بزعامة العالم العربى ومن ثم العالم الإسلامى ، بالشكل الذى يجعلها رائدة فى قيادة دفة العالم بعد انهيار الحضارة الغربية الرأسمالية المتوحشة المعادية للقيم الدينية والأخلاقية ، وتتمثل أهم تلك المقومات فيما يلى :

1- موقع مصر الجغرافى الفريد وسط قارات العالم القديم ، ذلك الذى أبدع فى وصفه الدكتور/ جمال حمدان فى كتابه الرائع " شخصية مصر " دراسة فى عبقرية المكان ، وهذا الموقع يجعل مصر فى موقع وسط كل من العالم العربى والعالم الإسلامى على السواء .

2- فى مصر توجد منارة الإسلام " الأزهر الشريف " الذي شع نوره فى كل أرجاء الدنيا ، والأزهر الشريف جامعًا وجامعة يتخرج فيه كل عام الآلاف من طلاب العلم من جميع أنحاء العالم الإسلامى . والأزهر الشريف له مكانة مرموقة ويحوز الاحترام فى العالم الإسلامى ، وخريجوه يحتلون وظائف مرموقة فى دولهم .

3- تمتلك مصر ثروة علمية ضخمة تتمثل فى :

أ- ثروة ضخمة من العقول العلمية المهاجرة ذات الكفاءة العالية فى جميع مجالات العلوم الحديثة ، هذه العقول منتشرة فى جميع دول العالم المتقدم مثل الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وغيرها من الدول المتقدمة.

ب- ثروة ضخمة من العلماء فى داخل مصر يعملون فى الجامعات والمعاهد ومراكز البحوث المختلفة ، هؤلاء العلماء لديهم أبحاث على درجة عالية من الأهمية فى المجالات العلمية المختلفة ، هذه الأبحاث لو جدت طريقها إلى التطبيق لغيرت وجه الحياة فى مصر والدول العربية والدول الإسلامية على السواء . وقد قام هؤلاء العلماء بتلك الأبحاث رغم الإمكانات المادية والمعملية المتواضعة .

جـ- ثروة ضخمة من مراكز البحوث العلمية فى جميع فروع العلم التى تغطى جوانب الحياة البشرية المختلفة: اقتصادية واجتماعية وسياسية وغير ذلك ، وفيما يلى أهم تلك المراكز على سبيل المثال وليس الحصر :

* المركز القومى للبحوث بشُعبه المختلفة .

* مركز بحوث الصحراء ، ويمتلك دراسات كاملة وشاملة عن الثروات الموجوده فى الصحراء المصرية الشرقية والغربية وشبه جزيرة سيناء .

* مركز بحوث التربة .

* مركز بحوث الحيوان .

* معهد بحوث التغذية .

* معهد بحوث السكر .

* مركز البحوث الاجتماعية والجنائية .

* المجالس القومية المتخصصة بمختلف أنواعها .

* معهد التخطيط القومى .

بالإضافة إلى مراكز البحوث التابعة للوزارات المختلفة مثل وزارة الكهرباء ووزارة النقل وغير ذلك .

د- تمتلك مصر ستة عشر جامعة حكومية بالإضافة إلى فروع الجامعات التى سوف تستقل فيما بعد لتصبح جامعات مستقلة . كل جامعة تحتوى على العديد من الكليات النظرية والعلمية ، وكل كلية بها العديد من الأقسام العلمية .

4- الصحراء المصرية بها ثروات معدنية ضخمة الحجم متعددة الأنواع التى تدخل فى العديد من الصناعات الحديثة ، هذه الثروات لم تستغل بعد، وفى حالة استغلالها سيغير العائد منها وجه الحياة فى مصر . كما أن الصحراء المصرية ينتشر فيها العديد

من الأعشاب الطبية والنباتات العطرية التى تستخدم فى العلاج الشعبى وفى حالة استغلالها بشكل علمى سيكون المردود منها عاليًا جداً .

هذا قليل من كثير تمتلكه مصر ، وفى حالة استغلال كل هذه الموارد المتاحة بالأسلوب العلمى الصحيح ، والتخطيط الدقيق ، فإن مصر تستطيع أن تقود العالم العربى ومن ورائه العالم الإسلامى إلى الصدراة . والتاريخ خير شاهد على قيادة وريادة مصر للعالم الإسلامى ، فقد استطاع الجيش المصرى بقيادة السلطان المظفر قطز قهر التتار والانتصار عليهم فى معركة " **عين جالوت** " ، وبذلك استطاعت مصر تجنيب العالم همجية التتار وتدميرهم للحضارة الإنسانية .كذلك استطاع الجيش المصرى بقيادة صلاح الدين الانتصار على الصليبين فى موقعة " **حطـين** " ، وبذلك استرد المسلمون بيت المقدس وانتهت الحروب الصليبية التى استمرت أكثر من ثلاثة قرون . وبذلك واجهت مصر الحقد الصليبى على الإسلام وأهله . وفى العصر الحديث استطاعت مصر أن تقود حركات التحرر من الاستعمار الغربى الذى جَثمَ قروناً عديدة على صدور الشعوب الأفريقية والأسيوية ونهب خيراتها وأذل شعوبها . وهكذا نجحت مصر فى مساعدة الشعوب المقهورة على استعادة حريتها واستقلالها السياسى. وفى عام **1973**م استطاع الجيش المصرى أن يضع حداً للعربدة والغرور الإسرائيلى، وأن يحطم إلى الأبد أسطورة الجيش الإسرائيلى الذى لايقهر وأن يقتحم قناة السويس التى تمثل أكبر مانع مائى فى العالم ، وأن يحطم خط بارليف المنيع فى ست ساعات فقط . كل هذا وغيره دليل على أن مصر التى قادت العالم العربى والإسلامى فى الماضى تستطيع القيادة أيضا فى الحاضر والمستقبل بكل كفاءة وجدارة .

صحيح أن دور مصر العربى والإسلامى والإقليمى قد تراجع حاليا بسبب المشكلات الداخلية والمؤامرات الخارجية ، وبسبب العشوائية التى تسود أوجه الحياة المختلفة فى مصر ، نتيجة السياسات الخاطئة والمحسوبية التى أدت إلى تولى أهل الثقة عديمى الخبرة والكفاءة للمناصب الهامة . الأمر الذى جعل بعض المسئولين لا يأخذون الأمور الحياتية بالجدية المطلوبة ولا يعايشون الواقع وعاجزون عن مواجهة

المواقف ، بل إن بعضهم يساهمون فى صنع الأزمات ، وذلك كما ورد فى بيان المستشار **"جودت الملط"** رئيس الجهاز المركزى للمحاسبات أمام جلسة مجلس الشعب المخصصة لمناقشة الحساب الختامى للموازنة العامة للدولة **2007/ 2008**م ، والذى أعلن فيه عن **25** ملحوظة سلبية ، أولها أن الحكومة تعمل لصالح الأغنياء وضد الفقراء ، بدليل أن البنك الدولى ذكر أن سياسات الحكومة المصرية أدت إلى أن نسبة الفقر بلغت **18**٪ فى مصر بصفة عامة و **40**٪ فى الصعيد بصفة خاصة . أما السلبيات الأخرى فأهمها: عدم فاعلية الاستثمارات ، وتفشى ظاهرة تهريب السلع ، تدنى مستوى الرعاية الصحية للمواطنين ، تدنى مستوى التعليم ، عدم الاستخدام الأمثل للقروض والمنح الخارجية ، التسيب والخلل فى المحليات ، سوء معالجة الأزمات والكوراث ، وسوء إدارة أموال الصناديق والحسابات الخاصة ، وفى نهاية بيانه نوه بأن هناك أزمة ثقة بين المواطنين والحكومة من خلال كثرة البيانات الوردية ، وعجز بعض المسئولين عن التعامل مع وسائل الإعلام ، ولجوء البعض الآخر من المسئولين إلى التعتيم الإعلامى .

هذه السلبيات التى أشار إليها بيان رئيس الجهاز المركزى للمحاسبات من السهل تجنبها بحسن اختيار القيادات على المستويات المختلفة للمسئولية فى الدولة ، وذلك بالاعتماد الكامل على أهل العلم والخبرة ، والابتعاد التام عن اختيار أهل الثقة . وقد حرص رسول الله ﷺ على تأكيد حسن اختيار أصحاب المناصب المختلفة ، وأن يكونوا من أصحاب الأخلاق الحسنة والسمعة الطيبة ، حتى يمكنهم القيام بأعباء هذه المسئولية ، وإقرار العدالة بعيداً عن الأهواء والمطامع الشخصية ، فيقول الرسول ﷺ: **" من وَلِىَ من أمر المسلمين شيئاً فوَلَّى رجلا وهو يجدُ مَنْ هو أصلحُ للمسلمين ، فقد خان اللهَ ورسولَهُ "** [1] وعلى كل مسئول فى أى موقع أن يعلم أن

---

(1) رواه الحاكم / انظر : ابن تيمية ، السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والراعية ، دار الشعب ، 1971، ص 257 . وقد ورد هذا الحديث أيضا فى : محمد ناصر الدين الألبانى ، ضعيف الجامع الصغير ، وزيادته الفتح الكبير ، المكتب الإسلامى ، بدون سند نشر ، حديث رقم 5401. وقد ورد بلفظ " من استعمل رجلا من عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله " .

المسئولية تكليف لا تشريف وقد عبر الرسول ﷺ عن هذه المسئولية الجسيمة الملقاة على عاتق كل مسئول بقوله : **" مَن ولاَّهُ اللهُ شيئا من أمور المسلمين فاحتجبَ دونَ حاجتهم ، وخلَّتهم ، وفقرهم ، احتجب الله دون حاجته وخَلّته وفقره يوم القيامة "** [1] وقوله عليه الصلاة والسلام : **" ما مِن أحد يَلِي أمورَ المسلمينَ ، ثم لا يجتهدُ لهم ، وينصَحُ لهم إلاَّ لم يَدخُلْ معهم الجنة "** [2] .

إن تبوء مصر لزعامة العالم العربى والعالم الإسلامى مشروط بتطبيق الديمقراطية بشكل تام ، وبحسن اختيار من يتولى مواقع المسئولية المختلفة ، فمصر مليئة بالكفاءات العلمية والخبرات العملية داخليا وخارجيا ، وبذلك نضمن حسن استغلال الموارد الاقتصادية والبشرية وتوجيهها الوجهة الصحيحة من أجل بناء قاعدة راسخة للتقدم والازدهار، ومن أجل تبوء مصر لزعامة العالم الإسلامي والعالم العربي يجب العمل على تحقيق مجموعة من الإجراءات الضرورية أهمها:

1- الديمقراطية بشكلها الصحيح الذي يسمح بتداول السلطة في ظل تنافس حقيقي بين الأحزاب السياسية المختلفة، الأمر الذي من شأنه تداول المناصب العامة ابتداء من منصب رئيس الوزراء والوزراء وحتى قيادات الإدارات المحلية.

2- تعظيم دور القيم الدينية والإنسانية، وقصر تولي الوظائف العامة المختلفة على أصحاب الخلق الحسن والمبادئ السامية والخبرة العملية والعلميه، وذلك لضمان أن يقوم كل مسئول بواجبات وظيفته على أكمل وجه.

3- القضاء التام على الرشوة والمحسوبية التي تخل بمبدأ تكافؤ الفرص بين أفراد الشعب، وحتى نضمن اختيار الشخص المناسب لكل وظيفة من الوظائف.

4- التأكيد على حرمة المال العام، ومحاسبة أي مسئول عن تبديده بأي طريقة من الطرق، وتطبيق العقوبات الصارمة على من يثبت في حقه تبديد المال العام.

---

[1] النووى ، رياض الصالحين ، شرح ابن عثيمين ، دار البصيرة ، الإسكندرية ، 2001 ، ص 221 .
[2] النووى ، المرجع السابق ، ص 220 .

5- الشفافية التامة في إتاحة المعلومات لجميع فئات الشعب فيما يتعلق بالنواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، والقضاء التام على الاحتكار العام والخاص، وإتاحة الفرص أمام الجميع دون تمييز. وذلك لأن الاحتكار يؤدي إلى تركز الثروة في أيدي حفنة قليلة من رجال الأعمال على حساب باقي أفراد الشعب التي تعيش في فقر مدقع، ومن ثم ينقسم الشعب إلى طبقتين، إحداهما قليلة العدد فاحشة الغنى، والثانية هي الغالية العظمى من الشعب وتعيش في فقر مدقع.

6- الوقف الفوري لـ«برنامج الخصخصة» أو ما يسمى بـ «برنامج إدارة أصول الدولة»، وذلك لأن هذا البرنامج يدمر الثروة القومية لمصر ويؤصل الاحتكار، ويؤدي إلى سيطرة الأجانب على قطاعات واسعة من الاقتصاد المصري، ومن ثم نهب خيراتها لصالحهم. كما أن سيطرة الأجانب على القطاعات الحيوية خطر داهم على الأمن القومي المصري.

وأبلغ دليل على مكانة مصر الرفيعة بين الدول الإسلامية والعربية أن الرئيس «أوباما» رئيس الولايات المتحدة الأمريكية اختار مصر ليخاطب العالم الإسلامي منها في زيارته الخاصة لمصر والتي تمت يوم الخميس الموافق **4/ 6/ 2009**م.

كتب صدرت للمؤلف

1- **اقتصاديات صناعة الورق في مصر.**

2- **الزكاة طوق النجاة للأغنياء والفقراء.**

3- **المنهج الإسلامي لعلاج مشكلة الفقر- دار الطلائع – القاهرة.**

كتب تحت الطبع

* **الخصخصة ونهب الدول النامية.**